الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

كلية الآداب والحضارة الإسلامية قسم اللغة والأدب العربي

ندوة علمية حول : صورة القدس في الخطاب الأدبي العربي بين القديم والحديث،

يوم 18 نوفمبر 2024.

عنوان المداخلة: تمثلات القدس في عيون الرحالة القدماء، الرحلة الجزائرية أنموذجا.

"The Representations of Jerusalem in the Eyes of Ancient Travelers: The Algerian Journey as an Example"

الملخص :

هذه الورقة البحثية تهدف إلى إلقاء الضوء على تجسيد القدس في عيون الرحالة القدماء، من خلال مجموعة متنوعة من التمثلات التي تعكس ثقافاتهم، وديانتهم، ومواقفهم الاجتماعية. ويعتبر الرحالة الجزائري نموذجًا بارزًا لهذا التمثل، حيث توثق رحلاته تفاعلاته مع المدينة المقدسة وتأثيراتها على تشكيل فهمه للتاريخ والدين والثقافة، ويمكن تفسير هذه التمثلات من خلال دراسة مسارات الرحلة والنصوص التي كتبها الرحالة، وتحليل التصورات الدينية والثقافية التي انعكست فيها. تظهر هذه التمثلات كيفية تأثير القدس على الفهم والتصورات الشخصية والجماعية للرحالة القدماء، وكيفية تجسيد هذه التصورات في أعمالهم الأدبية والفنية

.الكلمات المفتاحية:

صورة القدس. الرحلة الجزائرية .الأدب القديم

العنوان بالإنجليزية :

"The Representations of Jerusalem in the Eyes of Ancient Travelers: The Algerian Journey as an Example"

الملخص بالإنجليزية:

This research paper aims to shed light on the representation of Jerusalem in the eyes of ancient travelers, through a diverse range of representations that reflect their cultures, religions, and social stances. The Algerian traveler serves as a prominent example of this representation, as his journeys document his interactions with the holy city and its impact on shaping his understanding of history, religion, and culture. These representations can be interpreted through studying the routes of the journey and the texts written by the traveler, and analyzing the religious and cultural perceptions reflected in them. These representations demonstrate how Jerusalem influences the personal and collective understanding and perceptions of ancient travelers, and how these perceptions are embodied in their literary and artistic works.

الكلمات المفتاحية بالإنجليزية:

Keywords: - Jerusalem representation - Algerian journey - Ancient literature

معلومات شخصية:

الطالبة: وردة قندوز.
سنة ثانية دكتوراه تخصص أدب عربي قديم.
إشراف الأستاذة: د. شافية هلال.
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة.
كلية الآداب والحضارة الإسلامية قسم اللغة العربية.
عنوان الأطروحة: جماليات الخطاب النثري الجزائري القديم.
الهاتف: 0658596518
البريد المهني: warda.guendouz@univ-emir.dz
البريد الشخصي: djamin.mohamed@gmail.com
العنوان: ص ب رقم 30وكالة مريمش الميلية ولاية جيجل.

مقدمة:

صورت الرحلة الكثير من تمظهرات الحياة وثقافات المجتمعات بما فيها طقوسهم الدينية، وإنا إن ذكرنا القدس كرمز مقدس، لوجدنا اجتماعا دوليا بمختلف اتجاهاته الروحية حاصة إن كان من الديانات السماوية التي كانت ولازالت تسكن قلوب مريديها منذ فجر التاريخ ، فصورة القدس تظهر كشاهدة على التاريخ والروحانية والتعددية الثقافية العالمية، إنها ليست مجرد مدينة عتيقة، بل هي مركز حيوي للحضارات المتقاطعة والتي تعكس تاريخاً غنياً وتراثاً عميقاً. تحتضن القدس الأديان الثلاث الرئيسية - الإسلام والمسيحية واليهودية - مما يجعلها مقدسة بالنسبة لملايين الناس في جميع أنحاء المعمورة.

في هذه المدينة الشامخة، تتشابك الأديان والثقافات والتقاليد بطريقة فريدة، مما يخلق تجربة فريدة للرحالة. يتوجب على الزائر أن يتعامل مع الغموض والتناقضات، والتي تتجلى في التاريخ العتيق للمدينة وفي الحياة اليومية لسكانها المتنوعين.

تُعتبر القدس أيضًا نقطة اصطدام للسياسات والصراعات، حيث يتلاقى التاريخ القديم مع التحديات الحديثة، تسجل رحلات الكتاب في هذه المدينة المقدسة الصراعات الدينية والثقافية والسياسية، وتوثق تأثيراتها على الحياة اليومية للسكان وزوارها.

وإنا من خلال هذه الورقة البحثية نصبوا إلى إبراز مدى سحر القدس وتمثلاتها في عيون الرحالة القدماء، معرجين على هذه الصورة المميزة وانعكاساتها في أدب الرحلة عند العرب والغرب بشكل عام، وعند الرحالة الجزائريين بشكل خاص مركزين على تفاعلات المدينة المقدسة وتأثيراتها على تشكيل الفهم الصحيح للتاريخ والدين والثقافة وأثرها على أدب كان أقرب للتوثيق الفني منه للتأريخ المجرد، في جمالية تستدعي الوقوف على مضامين هذا الفن الذي أخرج من بين ثناياه جمالا عانق أسوار هذه المدينة العتيقة.

ومن هنا أوجبت علينا الضرورة البحثية طرح تساؤلات أسالت لنا حبر البحث لأجل تسليط الضوء على:

- **مفهوم أدب الرحلة لغة واصطلاحا.**
- **أهمية و دوافع تدوين الرحلة أدبيا.**
- **الأماكن المقدسة في أدب الرحلة.**
- **القدس في أدب الرحلة العربي القديم.**
- **القدس في عيون الرحالة الجزائريين:**

أ. **ذكر فلسطين ومدنها في الرحلات الحجازية الجزائرية.**

ب. **وصف بيت المقدس في رحلة المقري.**

لننهل في حيثيات هذا البحث من ميزات المنهج الوصفي حتى يتسنى لنا إلقاء الضوء على صورة القدس في عيون الرحالة القدماء عامة ، و تمثلاتها في أدب الرحلة الجزائرية أنموذجا.

أولا: مفهوم أدب الرحلة:

أدب الرحلة هو نوع من الأدب يركز على تسجيل تجارب الرحالة والمغامرات في السفر واستكشاف العالم، يتميز هذا النوع من الأدب بالوصف الدقيق للمواقع المختلفة التي يزورها الرحالة، بما في ذلك المدن، والطبيعة، والمعالم التاريخية. يتنوع أدب الرحلة بين النصوص الشعرية والنثرية، وقد يشمل قصصاً شخصية للرحلات، وتقارير علمية، ومذكرات، وغير ذلك.

تهدف أعمال أدب الرحلة إلى نقل تجارب الرحالة والاكتشاف إلى القراء، سواء كانت تجارب الرحالة الحقيقية أو الخيالية. يمكن لهذا النوع من الأدب أن يشجع على الفهم الأعمق للثقافات والمجتمعات الأخرى، ويثري فهم القارئ للعالم من حوله. كما يمكن أن يكون أدب الرحلة وسيلة للاستكشاف الذاتي والتعبير عن الهوية الشخصية، حيث يمكن للرحالة أن يعبر عن تأملاته وتجاربه الشخصية خلال رحلاته.

1. لغة:

جاء في **"تاج العروس للزبيدي (ت 1205هـ)"** قوله: **" الرِّحْلَةُ بالضَّمِّ والكسرِ يُقالُ: إنَّهُ لَذُو رِحْلَةٍ إلى المُلوكِ ورُحْلَةٍ حَكاهُ اللِّحْيانِيُّ أي ارْتِحالٍ. والرِّحْلَةُ بالكسرِ: الارْتِحالُ لِلْمَسِيرِ"**[1]

ويقول **"ابن منظور (ت 711هـ)"** في **لسان العرب: "الرحلة في اللغة الترحيل والارتحال بمعنى الأشخاص والإزعاج، يقال رحل الرجل إذا سار"**[2]

كما ورد لفظ الرحلة في عدة معاجم وقواميس، وعموما يجمع الكل على نفس المدلول .

جاء في **مقاييس اللغة** مادة (ر ح ل): **"الرّاءُ والحَاءُ وَاللام أصل واحدٌ يَدُلُّ عَلَى مضي في السفر"**[3] **فنقول: «ارتحل القومُ عَنِ المكان ارتحالاً، وَ رَحْلَ عَنِ المَكَانِ يَرْحَلُ وَهُوَ رَاحَلٌ مِن قوم رُحّل: انتقل، والترحل والارتحالُ : الانتقالُ وَهُوَ الرّحلة والرحلة"**[4] ،

كما نلاحظ: **" الاسم الرحلة بالضم والكسر ، يقال أنه لذو رحلة إلى الملوك ورحلة حكاه (اللحياني)، أي ارتحال، أو الرّحلة بالكسر الارتحال للمسير، يُقال دنَتْ رحلتنا، ومنه قوله تعالى: ﴿ رحلة الشّتاء و الصيف﴾** [5]**، وبالضم الوجه الذي تقصده وتريده وتأخذ فيه"**[6]

وعليه فإن الرحلة تعني الوجهة.

---

[1] المرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، تاج العروس، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية- الرياض، 2010م، 61/29. (ر ح ل).

[2] ابن منظور، لسان العرب، تحقيق مجموعة من الأساتذة دار المعارف – القاهرة. د ط، د ت 11/ 276.

[3] ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام ،هارون ، ج 2 ، ط1، دار الجيل، بيروت، سنة 1411هـ - 1991م، ص 498

[4] ابن منظور، لسان العرب، تحقيق مجموعة من الأساتذة دار المعارف – القاهرة. د ط، د ت مج 11 ، ص 279.

[5] سورة قريش آية: 02.

[6] الزبيدي، تاج العروس ، ج 7، دار صادر بيروت، دت، ص 341.

" والرُّحلة بالضم الوجه الذي يقصده، يقال مكة رحلتي: أي وجهي الذي أريد أن أرتحل إليه"[7]
ومن قبيل ذلك : **"أرحل فلانٌ: كثرت رواحله فهو مرحل، و الرحال: العرب الذين لا يستقرون في مكان و يحلُونَ بماشيتهم حيث يسقط الغيث وينبت المرعى"**[8] أي أنها نقيض الاستقرار و الثبات .

إذا مفهوم الرحلة يشمل مجموعة واسعة من الأفكار والتجارب، ويمكن تفسيره بشكل مختلف تبعًا للسياق والثقافة والغرض من السفر. على الرغم من ذلك، يمكن تلخيص مفهوم الرحلة بأنها تجربة تضمّ استكشافًا واستكشافًا لمكان جديد أو غير مألوف، سواء كان ذلك داخل البلاد أو في بلد أجنبي. تتضمن الرحلة غالبًا السفر من مكان إلى آخر، وتجربة مختلف الثقافات والمعالم الطبيعية والتاريخية والاجتماعية.

2. اصطلاحا:

أدب الرحلة مبني على ثنائية تجمع الأدب بفنيته مع الرحلة باختلاف وسائلها ووأهدافها، ليندرج بذلك مفهومها تبعا لمضامينها سواء أكانت: دينية، مقدسة، تجارية، علمية، ترفيهية ...

ولأن المقصود هنا هو تحديد مفهوم "أدب الرحلة" كفن من الفنون النثرية، وعلى الرغم من تعدد المفاهيم بين دارس وآخر إلا أنها في الأخير تجتمع في كون جنس أدبي متفرد بخصائص معينة، يقول في ذلك صاحب معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: **"إن أدب الرحلات مجموعة من الأثار الأدبية ألتي تناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة . وقد يقدم فيها تسجيل دقيق لما يراه من عادات وأخلاق ووصف للمناظر الطبيعية التي يشاهدها. ويسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة أو يجمع بين كل هذا في آنٍ واحد"**[9] ، أي أن أدب الرحلة فنيا يعتبر لونا أدبيا يجمع خصائص التصوير الفني لما يراه، بطريقة السرد المتواتر تزتمنا مع ما يلاقيه ويتجشمه من عناء هذه الرحلة لينقل للمتلقي كل ذلك بأسلوب جمالي كون الناقل في حد ذاته ، أديبا له من أدوات التحكم بالكتابة ما له، خاصة فيم يتعلق بالوصف والسرد، ويؤكد المؤرخ الرحالة عبد الرحمن بن خلدون (ت.808هـ)، على أهمية الرحلات في إثراء معارف المتعلم خاصة حين أضاف لما ذكرناه سابقا (الوصف والسرد) عنصرا مهما ألا وهو دور الشخصيات في استكمال كنه الرحلة ، وتنميتها لقدرات الرحالة الفكرية ، فيقول: **"الرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال"**[10] ، بتحديد أحد أهم أهداف الكتابة الأدبية في الرحلة حين يلتقي هذا الرحالة بعلماء ومشايخ في طريق رحلته، التي تزيد من مداركه. **"فالرحلة صياغة أدبية : يعبر الأديب من خلالها عما**

---

[7] الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مادة (ر ح ل)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 4، 1994.

[8] إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط ، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ج 2، دار الدعوة ، دت، ص:334، 335.

[9] مجدى وهبة – كامل المهندى، معجم المصطلحات العربية فى اللغة والأدب، ط / 2، 1948م، ص: 16.

[10] عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2004، ص :560.

أحس به وهو يجوب الآفاق مكتشفاً ومتعلماً» [11] من خلال مشاهداته ما يدهش قلبه ويسيل حبره ، فهي: **" صنف تأليفي يختص بتتبع الراحل في لحظات تنقله من أمكنة وأزمنة معينة ، فيتم رصد الراحل لذكرياته أثناء هذا التنقل في وصفه للمسالك والممالك ، في الحديث عن الطرق والمجتمعات التي يتصل بها والظروف المحيطة بها أثناء ذلك ، وما يلاحظه من وقائع وأحداث قد تدعو إلى تسجيلها والكتابة عليها ، مع عرض أنشطته المختلفة الخاصة به أثناء هذه الرحلة"**[12] ، من أجل الإبقاء على جمالية الأحداث مرتبطة بأزمنتها وأمكنتها التي لا تخلوا من فوائد جمة للرحالة في حد ذاته، وللمتلقين من بعده. هنا تلتقي فنية الكاتب وبراعته في نقل الأحداث بواسطة أسلوبه الفني لتصبح الرحلة مزيجا تلتقي فيه متعة الرحلة بطريقة الرحالة في سردها و **" يبدو أن الجمع بين الأدب والرحلة ، في تعبير واحد : «أدب الرحلة» ، هو ما يجعل الموضوع أكثر متعة وجمالية ، فالأدب بما هو مفهوم فني جمالي ، والرحلة بماهي تجربة ومغامرة ، يجعل من منجز الرحلة شيئا مغريا وجذابا وشائقا"**[13] ، وهو ما أسفر عنه هذا النوع الفني الأدبي الذي لم يكن ليتبوأ هذه المكانة لولا حس المغامرة و حب الاكتشاف للرحالة الأديب.

فأساس الرحلة هو توفر عنصر الوصف كأداة بناء للنص بأسلوب الرحالة الأديب لأجل نقل مشاهداته للقارئ، لتنشأ علاقة بين المؤلف والمتلقي عن طريق نص الرحلة السردية التي تعج بخاصية المكان و تواتر الزمان ورمزية الشخوص وتتابع الأحداث ووصف المشاهدات.

ثانيا: أهمية ودواعي تدوين الرحلات الأدبية:

1. أهمية تدوين الرحلات الأدبية:

بدأ تدوين الرحلات عند العرب، منذ القرن الثالث الهجري، وقد اتسمت في بداياتها بأسلوب أقرب منه للتأريخ والكتابة الجغرافية منه للفنية الأدبية، ونذكر في ذلك كتاب " المسالك والممالك" لابن خرداذبة (ت 272هـ) بهدف تنظيم أمور البريد التي كان مسؤولا عليها في جبال فارس، ثم توالت كتب الرحلات الجغرافية في القرون اللاحقة، فنذكر: كتاب "البلدان" لليعقوبي (ت 284هـ) / و "مروج الذهب ومعادن الجوهر" لليعقوبي (ت 346هـ)، وغيرها من العناوين الكثيرة في كتب الرحلات التاريخية والجغرافية[14] ، ولقد انتقلت كتب الرحلة من الأسلوب العلمي للأسلوب الأدبي في أواخر

---

[11] الحسن الشاهدي، أدب الرحلة في المغرب خلال العصر المريني ، منشورات دار عكاظ ، الرباط ، ج1، 1990، ص : 41.

[12] عبد الله المرابط الترغي، الرحلة الفهرسية نموذج للتواصل داخل العالم الإسلامي رحلة أبي سالم العياشي : «ماء الموائد» نموذجاً ، مجلة التاريخ العربي . ع : ٢٩، شتاء ٢٠٠٤ . يمكن قراءة الدراسة من خلال موقع ا المجلة http://www.attarikh-alarabi.ma/Html/adad29partie 11.htm :

[13] خالد التوزاني، الرحلة وفتنة العجيب بين الكتابة والتلقي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، د ط ، ص 51.

[14] ينظر: سميرة أنساعد الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، ص: 40 – 42.

القرن السادس الهجري، وقد مثلت رحلة ابن جبير (ت 614ه) الأندلسي، الاتجاه الأدبي برحلته "تذكار الأخبار عن اتفاقات الأسفار" بلغة بسيطة وأدبية فنية، التي وصفها الدكتور **حسني محمود حسين** بقوله: **"إن هذه الرحلة تحوي بعض المعلومات التي لا يستغني عنها مؤرخ أو جغرافي أو أديب يريد أن يدرس هذه الفترة المهمة من حياة الشرق الإسلامي، وقد رفع بها صاحبها هذا الضرب من الصياغة الأدبية إلى درجة عالية"**[15]

لتأتي بعد ذلك سلسلة من الرحلات الأدبية من الغرب الإسلامي ليتخذ بذلك هذا الفن أدبيته في وصف الرحلات نحو الشرق الإسلامي، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- علي بن سعيد الأندلسي (ت 685 ه) وكتابه: "المشرق في حلى المشرق".
- محمد العبدري (ت 688 ه) : "الرحلة المغربية"
- ابن رشيد السبتي (ت 711ه): "ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة".
- محمد بن إبراهيم اللواتي المعروف بابن بطوطة (ت 776ه): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار".
- عبد الرحمان بن خلدون (ت 808ه): رحلة ابن خلدون شرقا وغربا"

لقد أصبح البحث في أدب الرحلات مجالاً يستقطب عدداً كبيراً من الباحثين والدارسين ويثير اهتمامهم بشكل مستمر، يعود ذلك إلى القيمة الكبيرة التي تحملها الرحلات في الكشف عن مجموعة واسعة من المعارف والعلوم، كما توفر الرحلات فرصة للتعرف العميق على طبيعة المجتمعات المختلفة وثقافات الشعوب المتنوعة، مما يسهم في إثراء الفهم الإنساني والتواصل بين الثقافات، **"ولعل هذه الأهمية التي تتمتع بها الرحلات إنما استمدتها من دافع الرحلة أساسا وهو رغبة الرحالة في الاكتشاف والمغامرة وخوض المسالك والممالك مما قد يتعذر على كثير من الناس الخوض فيه أو الوصول إليه"**[16] فكانت بذلك الرحلة ذات فائدة خاصة، ملموسة ومباشرة للرحالة في حد ذاته مهما اختلف الهدف منها، وذات فائدة عامة لكل باحث عن الفائدة وتقصي أخبار البلدان دون الانتقال إليها مباشرة، سواء أكان ذلك للعسر المادي أو البدني أو لعدم توفر الظروف المناسبة لذلك." **لذا كان للرحلات قيمة تعليمية من حيث إنها أكثر المدارس تثقيفا للإنسان، وإثراء لفكره وتأملات"**[17] سواء

---

[15] حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 2، 1983، ص32.

[16] خالد التوزاني، الرحلة وفتنة العجيب بين الكتابة والتلقي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، د ط، 2016، ص 52.

[17] حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، سلسلة الكويت، د ط، 1989، ص 19.

أكان ذلك للمتلقين عامة أو لطالب العلم والدارس الباحث عن المعلومة بين ثنايا الكتب والأسفار التي انجرت عنها هذه الرحلات.

2. دواعي تدوين الرحلات الأدبية:

ولنا في كتاب **"الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري"**[18] لـ (د. سميرة أنساعد) الزاد لمعرفة أسباب تدوين الرحلة، حيث أوجزت دواعي تدوين الرحلات في النقاط التالية:

1. تلبية طلب الآخرين من حكام، وأصدقاء أو أقرباء، بتدوين الرحلة، وإمتاعهم بالاطلاع على ما أثار إعجاب الرحالة ودهشته، فرحه وحزنه وما استقطب اهتمامه للمعاينة والتحقيق كل ذلك يتحقق بالتزام الكاتب المنهج الدقيق في العرض والنسج الرائق المبدع في السرد.
2. إفادة القراء بتقديم معلومات عن المعارف والعلوم والتعريف بالأعلام وبمؤلفاتهم، وكذلك تعيين مناسك الحج والعمرة وترتبط هذه الدوافع أكثر بالرحلات العلمية والحجازية .
3. التعريف بالبلدان، ووصف الطرق والمسالك، ومواطن المياه، والأسواق.. وتبيين مواقع الخطر والمشقة؛ حتى لا يقع فيها الآخرون من منجزي الرحلات.
4. ذكر أخبار الأمم، والأقوام، والجماعات البشرية، ماضيا، ،وحاضرا وعرض محاسنها ومساوئها، عاداتها وقيمها، الدينية، وطرائق عيشها.
5. التأريخ للأحداث المتنوعة، وتقديم معلومات موجزة، أو مفصلة عن الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية للبلدان المجتازة أو المقصودة من الزيارة .
6. دعوة الرحالة مواطنيه إلى التغيير من أحوالهم وتوعيتهم ويقترن هذا الدافع مع الرحلات الحديثة، والتي عايشت أحداث الاحتلال والقهر والجمود الفكري لدى العامة .
7. رغبة المشاركة في أدب الرحلات عند الرحالة، وتدوين أخبار رحلته على منوال ما دوّنه السابقون من الرحالين والأعلام البارزين في هذا الفن، أمثال المسعودي، والمقدسي، ابن جبير وابن بطوطة .... وغيرهم من الرحالين
8. .ونختم دواعي التأليف، بسبب ذاتي، وهو رغبة الرحالة في نيل الثواب من الله تعالى بتحقيق الدوافع السابقة، وحصوله على البركة والخير بذكر الأماكن المقدسة من الحجاز ،الشريف وأهله الأبرار، وكل ما يتعلق بالدين الإسلامي في حال تدوين رحلة حجازية.

---

[18] ينظر: سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والتطور والبنية، دار الهدى عين مليلة – الجزائر، د ط، 2009، ص: 34 – 36.

وهذه الأخيرة هي مقصد هذه الورقة البحثية التي تركز على تمثلات القدس في عيون الرحالة القدماء.

ثالثا: الأماكن المقدسة في أدب الرحلة:

أدب الرحلة يمتلك تقاليد طويلة وغنية تشمل مجموعة متنوعة من الأماكن المقدسة التي تثير الدهشة والإعجاب لدى الكتّاب والمسافرين. هذه الأماكن قد تكون مقدسة بمعنى ديني، أو بمعنى ثقافي أو تاريخي. إليك بعض الأماكن المقدسة التي غالبًا ما تُذكر في أدب الرحلة:

1. مكة المكرمة والمدينة المنورة :تعتبر مرتين الحرمين الشريفين من أبرز الأماكن المقدسة في الإسلام، وتجذب المسلمين من جميع أنحاء العالم لأداء العبادات الدينية.
2. القدس :مقدسة للديانات السماوية الثلاثة (الإسلام واليهودية والمسيحية)، وتحتوي على العديد من المواقع الدينية المهمة مثل المسجد الأقصى والكنيسة القديسة.
3. مدينة الفاتيكان :مقر الكنيسة الكاثوليكية الرومانية وموطن للبابا، وتضم البازيليك البابوية ومتاحف تحتوي على العديد من الأعمال الفنية الرائعة.
4. آيا صوفيا والسلطان أحمد مسجد :تقع في إسطنبول، تجسد هذان المعلمان المهمان التاريخ والثقافة العثمانية، وتُعتبران مقدستين للإسلام.

ففي عالم أدب الرحلة، تضيء الأماكن المقدسة كجواهر لا تقدر بثمن. تتجلى هذه الأماكن كمراكز للروحانية والتأمل، حيث يسعى المسافرون والكتّاب إليها لاستكشاف أغوارها والغوص في تفاصيلها الروحية والثقافية والتاريخية. تكمن جاذبية الأماكن المقدسة في قدرتها على إثارة الدهشة والإعجاب، وتسليط الضوء على جمال الخلق وعمق الإيمان. هنا تكمن أهمية الأماكن المقدسة في أدب الرحلة، حيث تشكل محطات للمسافرين الباحثين عن الروحانية والتجديد الداخلي، و تعتبر هذه الأماكن بمثابة مصادر للإلهام والتأمل، فتترك في المسافرين والكتّاب أثرًا عميقًا في قلوبهم وأرواحهم.

إن الأماكن المقدسة تجسد تنوع الثقافات والديانات، وتتنوع ما بين المعابد القديمة والمساجد الشامخة والكنائس الجميلة.

ولنا هنا مع الرحلات الحجازية تمثلات كثيرة، تعكس مدى اهتمام المسلمين بضرورة تنفيد أمر الله عز وجل في طاعته، وتنفيذ الركن الخامس بالحج لبيته الحرام في مكة واستكمال شعائره في المدينة وزيارة

الأماكن المقدسة أنى كانت وجهتها. وتنتشر هذه الأماكن في جميع أنحاء العالم، وتشكل جزءًا لا يتجزأ من تراث البشرية وتاريخها، لتنعكس بطريقة فنية في أدب الكتاب الرحالة الذين يسجلون ما يرونه بأقلامهم بفعل التأثر والتأثير المباشر، فيمكنوا للقراء استكشاف هذه الأماكن والغوص في أسرارها والتأمل في روعتها، وهكذا تنقل الكلمات والصور تلك التجارب الروحانية بأسلوب جمالي يلهم ويثير العقل والروح.

رابعا: القدس في أدب الرحلة العربي القديم:

تمتاز الأرض المقدّسة بجاذبيتها الفريدة التي لا تقتصر على الأبعاد الدينية فحسب، بل تمتد إلى الجوانب الثقافية والعلمية أيضًا. يظهر ذلك جليًا في أدب الرحلة العربية، الذي يُعَدّ نوعًا مميزًا من الأدب يستعرض تجارب المسافرين والمستكشفين في استكشاف الأماكن المقدسة، وتبرز مكة المكرمة والمدينة المنورة في مقدمة هذه الأماكن، حيث تُعَدّان مقاصد لا يمكن تجاهلها لما تحملها من قدسية ومكانة دينية عظيمة لدى المسلمين. تليها مدينة القُدْس الشَّريف التي كانت وما زالت تجذب الرحّالة والمتعلمين بسبب مكانتها الدينية المرموقة وعلاقتها الوثيقة بالأرض المُقَدّسة. فكان " **أدباء المغرب من أكثر أدباء العربية تطلعا إلى خارج أقطارهم، ومن أشدهم طموحا إلى الاستزادة مما عند سواهم، لا يدانيهم في ذلك إلا إخوانهم في الأندلس**"[19] فتنافس الفريقان في شد الرحال إلى المشرق بحثا عن الفائدة الدينية بالحج، ثم بالبحث عن موارد العلم ولقاء المشايخ والاستزادة من المعارف، " **فضلا عن الحنين الدائم، إلى الأماكن المقدسة التي فرضت زيارتها على كل من استطاع إليها سبيلا، أينما كان من بلاد الله**"[20] امتثالا لأمر الله بحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا.

كانت القدس محط جذب للمسلمين العرب والمسافرين من جميع أنحاء العالم الإسلامي. وقد تمتعت القدس بمكانة مميزة في الأدب العربي الإسلامي، حيث تجسدت روحانية المدينة وأهميتها الدينية والثقافية في العديد من النصوص والقصائد.

في أدب الرحلة العربي، يبرز تصوير دقيق لمواقع القدس المقدسة والمعالم التاريخية المهمة، مع التركيز على الأماكن التي ذكرت في القرآن الكريم والتقاليد الإسلامية. يصف المسافرون العرب في رحلاتهم إلى القدس معاني الإيمان والتأمل والولاء الديني، مما يمنح أدب الرحلة العربي طابعاً دينياً وروحانياً بارزاً.

---

[19] كمال اليازجي، الأساليب الأدبية في النثر العربي القديم، من عصر علي بن أبي طالب إلى عصر ابن خلدون، دار الجيل – لبنان، ط 1، 1986، ص 194.

[20] المرجع السابق، ص194.

فقد جاء في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ذكر لبيت المقدس، المدينة المقدسة في الإسلام، والتي تحمل تاريخاً عظيماً وأهمية دينية لا تضاهى. يُذكر بيت المقدس في القرآن الكريم بعدة آيات تعكس قدسيتها وأهميتها في الإسلام. ففي سورة الإسراء، أشار الله سبحانه وتعالى إلى رحلة الإسراء التي قادها النبي محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام في مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى في بيت المقدس، وهي معجزة نبوية ارتبطت بأهمية وقدسية هذا المكان في قلوب المسلمين، ومن الآيات:

في سورة الإسراء، قوله تعالى: "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" (الآية: 01)

ومن السنة النبوية، يتبين لنا أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم أشدَّ الاهتمام ببيت المقدس وأكثره الرغبة في زيارتها والصلاة فيها. كما نقلت السنة عنه تعاليم دينية ومواعظ تحث على زيارة المسجد الأقصى والصلاة فيه، مما يُظهر أهمية القدس وأراضيها المقدسة في الوعي الديني لدى المسلمين.

قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلَّا إلى ثلاثةِ مساجدٍ : المسجدُ الحرامُ ، و مسجدي هذا ، والمسجدُ الأقصى"[21]

من هذه الرحلات التي جاء فيها ذكر لبيت المقدس، نذكر:

1. رحلة ابن جبير[22]: (ت 614 هـ)

إلى بلاد الشام والحجاز في فترة كان فيها بيت المقدس محتلا من طرف الاحتلال الصليبي، وقد حرر بعد سنتين من اختتام رحلته (583 هـ)، لكنه وهو لم يقم بزيارتها فعليا، غير أنه خصها بالذكر في رحلاته ، حيث وصف حدود الحرمين ، ثم ذكر مساحة المسجد الأقصى، حين قال: "وطول بيت المقدس أعاده الله للإسلام سبع مئة وثلاثون ذراعا، وعرضه اربع مئة وخمسون ذراعا، وسواريه أربع مئة وأربع عشرة سارية، وقناديله خمس مئة، وأبوابه خمسون بابا ..."[23] هذا نقلا كما قال عن الفقيه "[24]الزاهد الورع أبي جعفر الفنكي" كما وصف قبة الجامع الأموي وقارنها بقبة الصخرة.

---

[21] الراوي : عبدالله بن عمر | المحدث : السيوطي | المصدر : الجامع الصغير | الصفحة أو الرقم : 9783 | خلاصة حكم المحدث : صحيح | التخريج : أخرجه العقيلي في ((الضعفاء الكبير)) (256/3)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (9419)، والبيهقي في ((الخلافيات)) (5491) باختلاف يسير. https://dorar.net/hadith/sharh/140827 .

[22] رحلة ابن جبير، دار صادر بيروت، د ط، ص 81. https://www.noor-book.com

[23] نفس المرجع نفس الصفحة.

2. ياقوت الحموي: (ت 626 هـ)

وهذا شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت ابن عبد الله الرومي البغدادي، يصف في رحلته القدس بكلام جميل في معرض كتابه: " معجم البلدان" وهو وإن كان كتابا في الجغرافيا إلا أنه ضمنه إلى جانب الأوصاف العلمية للأماكن أوصافا أدبية لها من الجمالية في أسلوبه ما يدخلها في أدب النثر، حين يقول في هذا المقطع: "وفي المسجد أماكن كثيرة لا تتصور إلا بالمشاهدة عيانا، ومن أعظم محاسنه أنه إذا جلس إنسان فيه في أي موضع منه يرى أن ذلك الموضع هو أحسن المواضع وأشرحها، ولذلك قيل أن الله نظر إليه بعين الجمال، ونظر إلى المسجد الحرام بعين الجلال"[25] وفي هذا الوصف للمسجد الأقصى تصوير فني جعل من قداسة المكان في نظر الرحالة تذهب به إلى جمالية المكان في نظر الخالق عز وجل، فهذا الجمال وهذا الجلال قد اكتسبه المكان واكتساه حسن وصف الكاتب له.

3. ابن بطوطة: (ت 779هـ)

مُحمَّد بن عبد الله بن مُحمَّد اللواتي الطنجي، حيث يصف زيارته للقدس أثناء رحلته "تحفة النظار في غرائب الأمصار" فيقول: " ثم وصلنا إلى بيت المقدس شرفه الله، ثالث المسجدين الشريفين في رتبة الفضل ومصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرجه إلى السماء، والبلدة كبيرة مبنية بالصخر المنحوت" فجعل الوصف مقرونا بتشريف الله للمسجد كونه ثالث الحرمين الشريفين ومعراج النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم، ويواصل وصف المدينة بصفة عامة ثم ينتقل إلى وصف المسجد الأقصى حيث أدرجه تحت عنوان (ذكر المسجد المقدّس) ، فيقول: "وهو من المساجد العجيبة الرائقة الفائقة الحسن، يقال: إنه ليس على وجه الأرض مسجد أكبر منه... وله أبواب كثيرة من جهاته الثلاث، وأما الجهة القبلية منه فلا أعلم بها إلا بابًا واحدًا، وهو الذي يدخل منه الإمام، والمسجد كله فضاء وغير مسقف إلا المسجد "الأقصى" فهو تقف في النهاية من إحكام الفعل وإتقان الصنعة مموه بالذهب والأصبغة الرائقة وفي المسجد مواضع سواه مسقفة..." [26] يورد فيم يصف به المسجد الأقصى طوله وارتفاعه و صورته وأبوابه.

---

[24] نفس المرجع، نفس الصفحة.

[25] ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر بيروت، د ط، 1977، ص 171.

[26] ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم بيروت، ط 1، 1987 ص 75 -76.

ثم ينتقل ابن بطوطة إلى وصف جلال قبة الصخرة وجمالها وموقعها بالتحديد من المسجد الأقصى وكذلك عدد أبوابها، معبرا عن دهشته من بنائها وإعجابه بمدى إتقان معمارها، بقوله: "وكذلك داخلها وفي ظاهرها وباطنها من أنواع الزواقة ورائق الصنعة ما يعجز الوصف. وأكثر ذلك .مغشي بالذهب فهي تتلالأ أنوارا، أو تلمع لمعان البرق. يحار بصر متأملها في محاسنها، ويقصر لسان رائيها عن تمثيلها ..... " هنا نستشف الأسلوب الأدبي باستحضار الكاتب للتشبيه في قوله (تتلألأ أنوارا، أو تلمع لمعان البرق) ولبلاغة التشبيه في المماثلة بين الشيئين وإقامة الدليل على الكلام بتقريب معنى جمال المنظر لما هو أظهر منه في الواقع.

وهكذا يواصل وصف الصخرة والمغارة الموجودة أسفلها بوصف دقيق منقطع النظير، ولا يكتفي بذلك فحسب، بل ينقل مشاهداته للأماكن المجاورة له، وهو يربط كل بقعة تقع عليها عيناه بنبي أو رسول مر من هناك، فهو تارة يصف قبر مريم الصديقة، وتارة المكان الذي ارتفع منه عيسى عليه السلام، خاصة لقرب تقديس الصليبين لهذه الأمكنة بحسب زعمهم لها، ولنا في وصف ابن بطوطة التماس قوة في الأسلوب تعكس قوة المسلمين بعد استرجاع بيت المقدس من أيدي الصليبين.

4. رحلة ابن نباتة: (ت 768 هـ)

رحلته " حظيرة الأنس إلى حضيرة القدس"[27] وهي رحلة قصيرة وردت في كتاب ثمرات الأوراق، ورد فيها وصف لمدينة القدس الشريف بيت المقدس، حيث يقول: " قدمنا القدس الشريف نحن والغمام، وسبقنا إليها طرة الصبح تحت أذيال الظلام، وخف بنا جناح السوق والشوق حين دنت الخيام من الخيام ..." [28] ونجد في شوق ابن نباتة ومن معه في قافلة الوزير شوقا إلى دخول بيت المقدس في وصف شعوري تمازج مع ما للأجواء الماطرة ونزول الغيث من لقاء للبيت المقدس، ويواصل الوصف في قوله:

" ... ومكثنا فى البيوت إلى أن صحا الأفق من مدامة غمامه وحسر عن وجهه للأبصار فضل لثامه . وقمنا لبقية المشاهد قاصدين ولتلك المباني المعظمة شاهدين ،و مشاهدين فعاودنا الصخرة بقلوب قد لانت، ونثرنا على مواطئ القدم دموعاً عَزّت بلمسها ولا نقول هانت ونظرنا آثاراً قديمة تذهل عيون

---

[27] ثمرات الأوراق، تقي الدين أبي بكر بن علي بن محمد بن حجة الحموي (ت 838 هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا بيروت، د ط، 2005، ص: 237- 244.

[28] المرجع السابق، ص 240.

النظارة، وآثاراً متجددة في هذه الدولة القاهرة تقصر عنها العبارة"[29] فكان طلوع الفجر ووضوح الرؤية له رمزية اشراقة نور المكان على من شاهده من صحب القافلة والتي كان ضمنها ابن نباتة، متجهين بقلوب رقيقة لحب المكان المقدس ودموع الشوق تنهمر شوقا للقياه، فاندهشت الجميع لقداسة المكان وبناياته قديمها وحديثها، ثم يقول: "... يقف في طريق الزيارة متأملها وقفة في الطريق يصف الزيارة، فمنها ما هو مخصوص بالحرم الشريف نستلم كالحُجّاج أركانه، ونقلب وجوهنا في سماء سقف يكاد يمطر علينا لجَيْنَه وعقيانه و نشاهد رخاماً بلغ في الحُسن والمحل الأقصى وتمت به في بهجة المكان زيادة تخالف قول النحاة إن في الترخيم نقصاً". حين يقارن في أسلوب أدبي لعارف بقوانين النحو بين الرخام الموشى به المسج وقبته من كمال جمال، وذاك النقص في الترخيم للأسماء بنداء بعضها، وكأن ابن نباتة يرد على النحاة نقص الترخيم في الأسماء، ويجعله كمال الزينة والجمال كما للرخام من بريق ولمعان زاد المكان جلالا وجمالا.

هذا غيض من فيض من اهتمام أدباء العربية في رحلاتهم بجمال وسحر القدس، وكمال بنيانها وقداسته وعراقته، في صورة مثلت ازدواجية الدهشة والشوق في عيون وقلوب الرحالة العرب لبيت المقدس، ولنا أن نشير إلى البقية ذكرا لا تفصيلا لأدباء شدوا الرحال ووثقوا ذلك في كتاباتهم[30] على النحو التالي:

- ابن عربي (ت 543 هـ) من إشبيليا - بالأندلس " ترتيب الرحلة في الترغيب بالملة"
- أسامة بن منقد (ت 584 هـ) الشام " كتاب الاعتبار "
- علي الهروي (ت 611 هـ) الموصل – العراق " الإشارات إلى معرفة الزيارات"
- محمد العبدري (ت نحو 700 هـ) المغرب " رحلة العبدري"
- محمد الفهري (ت 721هـ) سبتة الأندلس "ملء العيبة في ما جمع بطول الغيبة
- القاسم التجيبي (ت 730هـ) سبتة الأندلس " مستفاد الرحلة والاغتراب"
- ابن نباتة المصري (ت 768) " حظيرة الأنس إلى حضرة القدس"
- ابن بطوطة (ت 779هـ) " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"

---

[29] المرجع نفسه، ص 241.

[30] علاء الدين زكي علي موسى، مقال: القدس في أدب العرب الرحالة القدماء رحلة ابن العربي أنموذجا، حوليات آداب عين شمس/ مجلد 50، سبتمبر 2022.
https://aafu.journals.ekb.eg/article

- محمد بن مرزوق (781 هـ) " عجالة المستوفز المستجاز"
- ابن خلدون (ت 808هـ) " التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا"

خامسا: القدس في عيون الرحالة الجزائريين:

حظت الأماكن المقدسة بأهمية كبيرة عند الرحالة الجزائريين خاصة تلكم التي كانت باتجاه الحجاز للحج، بل وكانت تعتبر وجهات سفر محورية لهم. مما أثار عندهم الفضول بتسليط الضوء على جوانب دينية وثقافية وتاريخية مهمة في الثقافة الدينية المرتبطة بمشاعر الإسلام ومقدساته، فهي تمثل لهم تراثًا ثقافيًا حيويًا يروي قصصًا عميقة ويعكس تطور الحضارة، فكانت زيارة هذه الأماكن تعني فرصة لاكتساب المعرفة من جهة وفهم السياق التاريخي والثقافي للمكان من جهة أخرى، بغرض استكمال الغرض من الرحلة الحجية للبقاع المقدسة وزيارة بيوت الله في: مكة والمدينة وفلسطين، فوثقوا تجاربهم ومشاهداتهم في أعمالهم الأدبية.

1. فلسطين ومدنها في الرحلات الحجازية الجزائرية:

تضمنت الرحلات الجزائرية فيم تضمنت الأماكن المقدسة باتجاه الحجاز كلا من مكة والمدينة والمسجد الأقصى، فعندما كانت الوجهة نحو المشرق باتجاه الحج وجد الرحالة الأدباء من الواجب الوقوف بدورهم على هذا المسجد العتيق، لما له من خصوصية دينية وقداسة ترجع لإيمان هؤلاء برسل الله جميعا وخاتمهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم، الذي اجتمع بهم عليهم السلام وأمهم بالصلاة ليلة أسري به إلى المسجد الأقصى المبارك ، وتكتمل معجزته بالمعراج للسموات العلا، في أمر من الله وقدرته على نصرة نبيه والتخفيف عن حزنه في عامه.

تنوعت الرحلات في الأدب الجزائري القديم، من علمية وحجازية، نذكر منها ما وصل إلينا خاصة خلال فترة الحكم العثماني في الجزائر:

- **الرحلات العلمية:** رحلة ابن حمادوش الجزائري (1145هـ / 1732م)، رحلة ابن الدين الأغواطي (1242هـ / 1826).

-الرحلات الحجازية:

* **الرحلات الحجازية النثرية** : رحلة البوني في حوالي (1099هـ / 1652)- رحلة ابن عمار (1166هـ/1752م) -رحلة أبي رأس الناصري (1204هـ / 1789م . -رحلة الورتلاني (1153هـ / 1740).

* **الرحلات الحجازية الشعرية:** -رحلة محمد بن منصور العامري التلمساني(1152هـ / 1739م)

- رحلة المصعبي (1197هـ /1781م)

ثم لنا وقفة مع الرحلات التي وقفت على ذكر القدس في ثناياها، مع قلة ما فيها من ذلك، وذلك لأسباب عدة نوجزها في:

1. منها أن الرحالة الجزائريون كانوا في قصديتهم للحج هو الحجاز بما فيه مكة والمدينة فكانت الطريق الطويلة والوعرة تمنعهم من الذهاب إلى الشام وزيارة بينت المقدس رغم شوقهم الدفين له. منها رحلة الورتيلاني التي كان مسار ها من الجزائر مرورا بمصر إلى الحجاز مباشرة ثم العودة بعد ذلك.
2. الرحلات العلمية التي كان هدفها لقاء الشيوخ والعلماء وإن عرج أصحابها على فلسطين وزاروا القدس إلا أنهم لم يصفوها في مشاهداتهم، وإن ذكروها كمكان مقدس مروا عليه، بشيء من التفصيل في علمائها ومشايخها لا غير، مثال ذلك رحلة **أبي راس الناصري** العلمية التي جاء فيها ذكر لمرور صاحبها بغزة وفلسطين على العموم.
3. بعض الرحلات الحجازية التي وإن وصلت لنا عناوينها دون متونها التي ضاعت، والتي دلت عناوينها على ذهاب أصحابها إلى المشرق، مثل: **رحلة البوني "الروضة الشهية في الرحلة الحجازية"**
4. هناك من الرحلات التي لم تتعدى حدود شمال إفريقيا، كرحلة ابن قنفد إلى المغرب " أنس الفقير وعز الحقير"، ورحلة **ابن الدين الأغواطي** في شمال إفريقيا والسودان.
5. هناك من الرحلات التي ورد فيها اسم المسجد الاقصى، أو بيت المقدس أو مسرى الرسول، و حتى ثالث الحرمين الشريفين، في معرض مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، أو الاستشهاد باحاديثه أو الآيات القرآنية المتضمنة ذلك، مثل: ماجاء في قصيدة[31] لابن عمار في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، بمناسبة الاحتفال بالمولده الشريف يقول فيها: يقول فيها:

أعلى الورى من سرى ليلا لخالقه بماله من علو القدر والشان

أعظم بقدر رسول الله حين دنا من ربه حيث لا قاص ولا دان

وعاد قبل ظهور الفجر منقلبا عن قاب قوسين لم يخصص بهاثان

---

[31] ابن عمار أبي العباس سيدي أحمد، نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب، تحقيق عبد الجليل شقرون، رسالة لنيل شهادة دكتوراه، تخصص تحقيق المخطوطات جامعة بوبكر بلقايد تلمسان2017/2016 ص 390.

مع ذلك لنا مع النذر القليل من الأمثلة التي جاء فيها ذكر لفلسطين وبعض مدنها التي مر بها بعض الرحالة الجزائريين، وقفة مع:

- **رحلة أبي راس الناصري " فتح الإله ومنته في الحدث بفضل ربي ونعمته":**

يذكر فيها مروره بأحد مدن فلسطين، فيقول : **" ثم دخلت «الرملة» ، التي هي أحد مدن « فلسطين » ، ولقيت مفتيها وعلماءها فتفاوضنا زمانا في « الدخان » و « القهوة » ، فأجبتهم بما قال العلماء في ذلك ، وذكرت لهم نص أبي السعود فيهما معا ، فأكرموني"**[32] في هذا وصف لكرم وجود أهل المنطقة، وتجاوب شيوخها مع الرحالة في طلب العلم وتقبل النقاش في ما يهم الناس من أمور الحياة. ويواصل فيقول: **" ثم رحلت الى «غزة» فزرنا بها قبر سيدنا هاشم : ثالث آباء النبي ، صلى الله عليه وسلم ! ولقيت علماءها وأمراءها. ، فضيفوني ، وأكرموني ، وتناظرنا (في مسائل من العلم مختلفات) برهة من الزمان، فاعترفوا لي بالفضل والعلم والحفظ . وتلك المدينة كانوا يقولون لها : «غزة هاشم»"** وفيها أيضا ذكر لفضل أهل مدينة غزة وعلمائها وكرمهم، وكذا تبادل المسائل العلمية بينهم، مشيرا إلى تسمية المدينة بغزة هاشم. دون وصف مشاهدات للمكان ولا التفصيل في ذكره.

2. بيت المقدس في رحلة المقري:

قام المقري بزيارة بيت المقدس ثلاث مرات، كانت الأولى سنة 1029هـ والثانية سنة 1037هـ، وهذا ما جاء ذكره في مقدمة "نفح الطيب" وأكده في الرحلة، أما المرة الثالثة فكانت خلال سنة 1040هـ أو 1041هـ، كما جاء في رسالته إلى محمد الدلائي[33]،

أدى المقري فريضة الحج في البقاع المقدسة بأرض الحجاز، وعاد بعد ذلك إلى مصر سنة 1029هـ ، ليقرر الذهاب لزيارة بيت المقدس ورؤية المسجد الاقصى، فأبهرته معالمه وأدهشه جماله، فسأل عن مكان معراج الرسول صلى الله عليه وسلم، فأرشد إليه وشاهد المحل الذي صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بالرسل الكرام، ويبدو أن هذه ليست الأولى، فقد سبقتها زيارة ذكرها عرضا في ترجمته لأبي عبد الله القريشي الهاشمي المتوفي 599هـ /1203م، إذ ذكر المقري بأن قبره ظاهر يقصد للزيارة وأنه زاره سنة 1028هـ.

---

[32] محمد أبو راس الجزائري، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، د ط، د ت، ص120.

[33] أحمد المقري، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، ص12.

كما أن المقري زار مدينة غزة عام 1038هـ ، وهو في طريقه لزيارة أخرى لبيت القدس وهذا ما سجله المقري في رحلاته إلى المشرق فقد وصف دخوله غزة ونزوله مكرما في مدرستها ووصف هذه المدرسة أنها قبلة المسجد الأعظم ليس بينها وبين المسجد الا طريق، وأن شيخ المدرسة كان يجلس فيها هو وأصحابه فيقرؤون خمسة أحزاب من القرآن كل يوم قبل طلوع الفجر مناوبة، وأن فيها خزانة كتب كبيرة فيها كتب علمية وأن إلحاق المدرسة بالجامع كان بفضل تقدير أمير البلد للمقري إذ أنه في إحدى زياراته السابقة لمدينة توسط المقري لشيخ الغصين عند أميرها عن فضل بناء المدارس والمساجد وأن الشيخ يرغي في أن تكون المدرسة ملحقة بالمسجد فوافق الأمير ودعا في حينه أن يكتب أمره وأحضر الشهود، وحبس على ذلك المحل أوقافا بغزة سنة 1029هـ. فكتب قصيدة يقول فيها:

أَقْبَلُ السَّعْدِي فِي جُيُوشِ التَّهَانِي لِلْوَاءِ الْبُشْرِي وَهَلْ الأَمَانِي

وَأَنَّنِي غَزِّى وَخِيمُ فِيهَا حَيْثُ مُغْنِي النَّدَى وَثِيق المباني

إِذْ لِلْوَزّ الرِّيَاضِ بَيْضُ قُبَابِ وَبِسَاطِهَا الْأَزْهَارِ ذُو الْأَلْوَانِ[34]

وقد وثق المقري جمال بيت المقدس في رحلته حيث قال: **"ونقلت من القبس شرح الحافظ أبي بكر بن العربي**[35] **على موطأ مالك في كتاب التفسير في سورة قد أفلح ما صورته"**[36] وكان هنا في صدد شرح وتفسير سورة المؤمنون مع شيوخ بيت المقدس، ويواصل: **"قيل إن مياه الأرض من تحت صخرة بيت المقدس، وهي من عجائب الله تعالى في أرضه، فإنها صخرة شنعاء في وسط المسجد الأقصى مثل المضرب قد انقطعت من كل جهة لا يمسكها إلا الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض في أعلاها من جهة الجو"**[37] يصف هنا صخرة بيت المقدس الموجودة تحت القبة وكبر هجمها وعجيب خلقها وارتفاعها عن الأرض، ويشبهها بالمضرب الذي لا يمسكه إلا الله في هذه الحالة، وكأنها بحسب تصويره طائرة بين السماء والأرض لفرط شساعة المغارة الموجودة تحتها، وكأن السامع لهذا يتقد بوجود صخرة طائرة تحت قبة الصخرة. بعدها يواصل وصف موضع البراق الذي أسرى به الرسول إلى بيت المقدس فيقول: **"قدم النبي صلى الله عليه وسلم حين ركب البراق، وقد مالت من تلك الجهة هنيأة، ومن الجهة الأخرى أثر أصابع الملائكة التي أمسكتها إذ مالت به ومن تحتها الغار الذي انفصلت عنه من**

---

[34] أحمد المقري رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، ص139.

[35] أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري: ترجمته في وفايات الأعيان لابن خلكان، ج4، ص:296، ونفح الطيب للمقري، ج2، ص: 25 – 43.

[36] رحلة المقري ص160

[37] نفس المصدر، ص 160.

كل جهة"[38] ويضيف لقداسة مربط البراق وجود أثر لأصابع الملائكة، تحت الغار الموجود تحت صخرة القبة. ثم يذكر المكان المخصص للصلاة فيقول:

"عليه باب يفتح للناس للصلاة والاعتكاف والدعاء، فهبتها مدة أن أدخل تحتها، لأني كنت أقول أخاف أن تسقط عليّ" والتي أراد أن يدخل فشعر بخوف لهيبة المكان وارتفاعه وعلو الصخرة التي تبدو كالمعلقة في السماء وأنها إن أراد الولوج تحتها ستقع على رأسه، فيقول:

"ثم رأيت الظلمة والمجاهرين بالمعاصي يدخلونها ثم يخرجون عنها سالمين فهممت بدخولها ثم قلت ولعلهم أمهلوا وأعاجل" فكان بذلك مصدر خوفه هو أن الصخرة قد تقع على رؤوس الطغاة العصاة، فهم بالدخول حين رأى غيره من المجاهرين بالمعاصي يلجونها ويخرجون سالمين دون أدى، ويواصل الوصف في قوله:

"فوقفت مرة ثم عزم علي فدخلت فرأيت العجب العجاب، تمشي في حاشيتها من كل جهة منفصلة عن الأرض، لا يتصل بالأرض منها شيء .وبعض الجهات أبعد انفصالا من بعض،" دخل ورأى المكان شاسعا فسيحا عاليا يشرح النفس فليس فيه ما يخيف، وهذا وصف من يدخل المكان أول مرة يكتشف زواياه بحب وقداسة ودهشة.

لينتقل بعد ذلك لوصف مكان ولادة عيسى عليه السلام: "فأما وضعه عليه السلام فكان ببيت المقدس قطعا منقولا بالتواتر، وحين وضعته وجعلته في مهده وهو فراشه الذي أنامته عليه ساخ الحجر بجلاله قدرة فرءاه متشكلا وموضعه الركن الشرقي القبلي من المسجد الأقصى، فلما خرجت على نفسها واستحيا من حالها كان من أمرها ما قص الله سبحانه في كتابه، قال: (وأوَيْنَاهُمَا إِلى رُبْوَةٍ ذات قرار ومعين) سورة المؤمنون، آية 50، فأوت إلى هذه الربوة وهي في سفح الغراب جبل دمشق الآخذ من طرابلس إلى الشام"ص160. هذا ماجاء في وصف المقري لبيت المقدس في رحلته.

ذكره لغزة:

ويصف زيارته لغزة بقصيدة في غرض وصف المدن الجميلة التي يرى فيها غزة بكمال زينتها عند دخولها وقلت " وقلت بغزة المحروسة سنة 1029هـ

اقْبَلَ السَّعْدُ فِي جُيُوشِ التَّهَانِي بِلِوَاءِ البُشْرى وَنَيْلِ الأَمَانِي

[38] المرجع السابق، ص160.

و أَتَى غَزّةَ وَخَيَّمَ فِيهَا حَيْثُ مُغْني النَّدى وَثِيقِ المَبَانِي

إِذْ لِلّوْزِ الرِّيَاضِ بِيضِ قِبَابٍ وَ بِسَاطِ الأَزْهَارِ ذُو الألوَانِ

وَخُيُولُ السّرُورِ ذَاتِ مِرَاحٍ واسْتِبَاقٍ فِي حَلَبَةِ المَيْدَانِ

ودُرُوعُ الأَنْهارِ قَدْ زَرَّدَتْهَا كَفُ رِيحٍ فِي غايَةِ الإتْقَانِ

وَرُؤوسُ الهِضَابِ قَدْ عَمَّمَتْهَا يَّدُ سُحْبٍ فَحُسنُهَا ذُو افْتِنَانِ

وقِيَانُ الأطْيَارِ غَنَّتْ بِسَجْعٍ هَاجَ شَوْقَ العُشَّاقِ مِنْ أَصْبَهَانِ

وغَوَانِي الغُصُونِ ذَاتِ تَثَنٍّ وَلَآلِيءَ الأندَاءِ حُلَّي الغَوَانِي

وثُغُورُ الأَقَاحِ ذَاتَ ابْتِسَامٍ لِقُدُومِ الرَّبِيعِ خَيْرِ زَمَانِ

أَذْكَرَتْنِي. عُهُودُهَا أَرْضَ غَرْبٍ وَالمَغَانِي لِلّصَبِ فِيهَا مَعَانِي[39]

وهي قصيدة من بحر الخفيف، نونية فيها من الجمالية الفنية ما يرقى بالمدينة ومكانتها وبنائها حين أتى غزة وخيم فيها واصفا طبيعتها من أشجار وأزهار وانهار جاريات وخيول متسابقات، بل وشموخ هضابها، وجعل الغناء يزين سماءها برجع ألحنة طيورها، وشبه جمال الندى فوق الغصون بلؤلؤ يزين الجواري الفاتنات الجمال، كل هذا في فصل الربيع الذي جعل الشاعر يحن لبلاده للتشابه الكبير في طبيعة البلدين، وذلك في ختام القصيدة.

كما جاء ذكر غزة في الرحلة تحت عنوان الاقتصاد في أسماء البلدان حين أوردها في معرض ما نقله عن ابن الوردي، فقال: "ومن الاقتصاد في الأسماء لابن الوردي: مكة وطر ، المدينة قمر، القدس كسر، القاهرة بشر...."[40] وهي أوصاف للمدن.

خاتمة:

تعكس القدس الأهمية الثقافية والدينية الكبيرة التي تحملها الأعمال الأدبية للرحلة عند العرب والمسلمين، من خلال استكشاف رحلات الرحالة القدماء إلى القدس، نجد أن كل رحلة تمثل مرآة

---

[39] المرجع لسابق، ص 139.
[40] المرجع نفسه، ص 171.

تعكس صورة القدس في عقول وقلوب الناس خلال تلك الفترات الزمنية. إنها رحلات تمتزج فيها الملاحظات الجغرافية بالتأملات الروحية والدينية، مما يجسد القدس كمركز ديني وثقافي مهم للغاية، نصل من خلالها إلى نتائج حول تمثلات القدس في عيون الرحالة العرب القدماء عامة والجزائريين خاصة في:

1. يكشف توثيق الرحالة القدماء لرحلاتهم إلى القدس عن أهمية هذه المدينة القديمة كمركز ديني بارز للمسلمين، حيث تعكس رحلاتهم الأهمية التاريخية والروحية لهذه المدينة المقدسة ودورها في حياة البشر عبر العصور.
2. يوفر سرد أدب الرحلة للمواقع الجغرافية والمعالم المعمارية في القدس نظرة عميقة في التطور الحضاري والمعماري للمدينة عبر العصور. يتضح كيف شكلت القدس محورًا للعديد من التقاليد الهندسية والبناء على مر العصور.
3. يتأمل الرحالة في القدس كرمز ثقافي وفلسفي، حيث تُظهر رحلاتهم التأثير العميق الذي تركته المدينة على الفكر والإبداع والفن في عصورها المختلفة.
4. تشكل رحلات الرحالة مصدر إلهام للكثير من الأعمال الأدبية والفنية، حيث تظهر في الشعر والأدب والرسوم الفنية والموسيقى كمصدر إلهام للفنانين والكتاب والمفكرين.
5. تظهر الدراسة أن الرحالة الجزائريين كانوا يستهدفون الحجاز، بما في ذلك مكة والمدينة، وكانت الطرق الوعرة والطويلة تعيقهم عن زيارة بيت المقدس على الرغم من شوقهم الكبير لها.
6. كان هدف الرحلات العلمية لقاء الشيوخ والعلماء، فإنها لم تولي اهتماماً كبيراً بوصف مشاهدات القدس كمكان، وإنما ذكرتها كرمز مقدس عامة دون تفصيل .
7. تظهر بعض الرحلات الحجازية في عناوينها الذهاب إلى المشرق، لكنها فقدت وضاعت ولم تصل إلينا إلا ماذكر من عناوين لها في كتب السير والأعلام.
8. بعض الرحلات لم تتجاوز حدود شمال إفريقيا، مما يعكس تركيز الرحالة على استكشاف المناطق المحلية بدلاً من الشرق الأوسط.
9. تظهر بعض الرحلات ذكر مسجد الأقصى وبيت المقدس ومسرى الرسول، مما يدل على أهمية القدس في الثقافة والديانة الإسلامية والتأثير الكبير الذي تركه على الرحالة.
10. تفرد المقري في رحلته بذكر بيت المقدس ووصف صخرته ومكان معراج الرسول صلى الله عليه وسلم، كما أفرد في رحلته قصيدة بديعة في وصف جمال مدينة غزة.

وتبقى صورة القدس في أدب الرحلة تكشف عن تعقيدات وثراء في التصوّرات حول هذه المدينة المقدسة. كما تحمل أهمية كبيرة دينية وثقافية وتاريخية تتجاوز الحدود الزمانية والمكانية. تعزز لدينا ضرورة الألحاح في البحث عن المزيد من تمثلاتها في هذا الأدب الثري، كما تجدد فهمنا لتأثير القدس في الأدب كفن يعكس ثقافة الأمم، مع تسلط الضوء على العوامل المختلفة التي شكلت تصوّرات الرحالة حول هذه المدينة عبر العصور.

المصادر والمراجع:

1. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط ، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ج 2، دار الدعوة ، د ت، د ط.
2. ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم بيروت، ط 1، 1987
3. ابن خلكان وفايات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت لبنان، د ط، 1978، ج4.
4. ابن عمار أبي العباس سيدي أحمد، نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب، تحقيق عبد الجليل شقرون، رسالة لنيل شهادة دكتوراه، تخصص تحقيق المخطوطات جامعة بوبكر بلقايد تلمسان2017/2016
5. ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون ، ج 2 ، ط1، دار الجيل، بيروت، سنة 1411هـ - 1991م.
6. ابن منظور، لسان العرب، تحقيق مجموعة من الأساتذة دار المعارف – القاهرة. د ط، د ت.
7. أحمد المقري نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت لبنان، ط 1، 1997 ، ج2
8. أحمد المقري، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، تحقيق محمد بن معمر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر الجزائر، د ط، 2004.
9. تقي الدين أبي بكر بن علي بن محمد بن حجة الحموي (ت 838هـ)، ثمرات الأوراق، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا بيروت، د ط، 2005
10. الحسن الشاهدي، أدب الرحلة في المغرب خلال العصر المريني ، منشورات دار عكاظ ، الرباط ، ج1، 1990.

11. خالد التوزاني، الرحلة وفتنة العجيب بين الكتابة والتلقي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، د ط، د ت.
12. الراوي : عبدالله بن عمر | المحدث : السيوطي | المصدر: الجامع الصغير | الصفحة أو الرقم : 9783 | خلاصة حكم المحدث : صحيح | التخريج : أخرجه العقيلي في ((الضعفاء الكبير)) (256/3)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (9419)، والبيهقي في ((الخلافيات)) (5491) باختلاف يسير. https://dorar.net/hadith/sharh/140827 .
13. رحلة ابن جبير، دار صادر بيروت، د ط. https://www.noor-book.com
14. الزبيدي، تاج العروس ، ج 7، دار صادر بيروت، د ت، د ط.
15. عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د ط، 2004.
16. عبد الله المرابط الترغي، الرحلة الفهرسية نموذج للتواصل داخل العالم الإسلامي رحلة أبي سالم العياشي : «ماء الموائد» نموذجاً ، مجلة التاريخ العربي . ع : ٢٩، شتاء ٢٠٠٤ . يمكن قراءة الدراسة من خلال موقع ا المجلة http://www.attarikh-alarabi.ma/Html/adad29partie 11.htm :
17. علاء الدين زكي علي موسى، مقال: القدس في أدب العرب الرحالة القدماء رحلة ابن العربي أنموذجا، حوليات آداب عين شمس/ مجلد 50، سبتمبر 2022. https://aafu.journals.ekb.eg/article
18. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مادة (ر ح ل)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 4، 1994.
19. كمال اليازجي، الأساليب الأدبية في النثر العربي القديم، من عصر علي بن أبي طالب إلى عصر ابن خلدون، دار الجيل – لبنان، ط 1، 1986.
20. مجدى وهبة – كامل المهندى، معجم المصطلحات العربية فى اللغة والأدب، ط 2، 1948م.
21. محمد أبو راس الجزائري، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، د ط، د ت.
22. المرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، تاج العروس، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية- الرياض، 2010م، 61/29. (ر ح ل).
23. ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر بيروت، د ط، 1977.